

## سلاجقة خراسان

تمكن سنجر قبل أن يتولى عرش السلطنة السلجوقية أن يوسع نفوذه على حساب الأقاليم المجاورة، فتمكن من ضم ترمذ وطخارستان في عام 491 هـ، كما بسط نفوذه على إقليم ما وراء النهر في سنة 495 هـ، ثم استولى على غزنة في سنة 511 هـ بعد أن الحق بالغزنويين هزيمة كبيرة ثم تعاضم نفوذ سنجر بعد انتصاره على ابن أخيه محمود وتوليه عرش الدولة السلجوقية، فبسط نفوذه على معظم أجزاء إيران والعراق ودانت له مناطق بلاد ما وراء النهر وخراسان وطبرستان واصفهان وهمذان والري واذربيجان وارمينية وبغداد والموصل وإقليم الجزيرة وبلاد الشام والحرمين، وضربت باسمه السكة في هذه الأقاليم، إلا أن سنجر واجهته مشاكل خطيرة ساهمت في تقويض دولته، وتمثل ذلك بظهور الدولة (القره خنائية) و(الدولة الخوارزمية)، فخاض سنجر عدة معارك ضد (القره خنائيين) وتبادل النصر والهزيمة ثم منى هزيمة نكراء أمامهم في سنة 536 هـ في موقعة قطوان، وقد ترتب على هذه المعركة آثار خطيرة، فقد بسط القره خنائيون نفوذهم على إقليم ما وراء النهر وكاشغر كما استولوا على سمرقند و بخارى وصاروا خطرا يهدد سلاجقة الشرق بصورة عامة، واستمرت القراخنائية حتى سنة 601 هـ حين تمكن علاء الدين محمد خوارزم شاه من القضاء عليها .

أما الخوارزميون فقد اشتبكوا مع السلطان سنجر في عدة مواقع كان النصر في بادئ الأمر إلى جانب السلاجقة، ثم استغل الخوارزميون هزيمة سنجر أمام الخنائيين في 536 هـ فتمكنوا من انتزاع بعض المناطق من يده ثم انتهى الأمر بأعتراف سنجر بحكم علاء الدين اتسز على خوارزم بعد الحرب التي وقعت بين الطرفين في عام 542 هـ .

والواقع أن دولة السلاجقة في المشرق أصابها الوهن بسبب الحروب التي خاضها سنجر ضد الخنائيين والخوارزميين . وكانت هزيمته أمام الخنائيين في سنة 532 هـ قد أدت إلى ضياع إقليم ما وراء النهر ووضعت حدا لنفوذ السلاجقة في الإقليم المذكور، ثم ما لبث سنجر أن واجه خطرا آخر من جانب الدولة الغورية التي كانت تسيطر على جبال الغور ومدينة (فيروزكوه) القريبة من غزنة، ثم أمتد نفوذها إلى هراة ، ودارت بينهم وبين سنجر معركة عنيفة انتهت بانتصار سنجر .

إلى أن نهاية السلاجقة في المشرق جاءت على يد قبائل الغز التركية، الذين أشعلوا نار الفتنة منذ عام 548 هـ وتمكنوا من توجيه ضربة قاضية إلى عساكر السلطان سنجر وقتلوا عددا كبيرا منهم، كما وقع سنجر نفسه في الأسر مدة ثلاث سنوات وبضعة أشهر تمكن بعدها من الهرب والعودة إلى مرو في سنة 551 هـ، فاجتمع الناس حوله و جلس على عرشه مرة أخرى إلا أنه لم يلبث أن مرض وأدركته الوفاة في عام 552 هـ .

وكانت وفاة السلطان سنجر إيذانا بأنها السلاجقة في المشرق، إذ لم يلبث حكام الدولة الخوارزمية أن استولوا على جميع ممتلكاتهم في خراسان، وانهاو حكمهم في تلك البلاد .

## سلاجقة العراق

لم يكن سلاجقة العراق باحسن حال من اخوانهم سلاجقة المشرق، فقد عمت الفتن والاضطرابات العراق وأذربيجان وبلاد الشام، وأصبحت الدولة ميدانا للحروب بين الطامعين في العرش بالاضافة التي تزايد شقة الخلاف بين السلاطين والخلفاء العباسيين واشتعال الحرب بين الفريقين. وكان للصراع الأسري الذي حفلت به هذه المرحلة من مراحل التاريخ السلجوقي آثاره الخطيرة على مجريات الأحداث، فلم يكد السلطان محمود فرغ من نزاعه مع عمه السلطان سنجر حتى واجه مشكلة أخرى تمثلت في عصيان اخيه مسعود بتحريض من اتابك الموصل شمس الدولة جكرمش في ربيع الأول من سنة 514 هـ، وقد تمكن محمود من القضاء على هذه الحركة، وتم الصلح بين الأخوين .

وقد استغل اعداء السلاجقة حالة الفوضى التي سادت أجزاء الدولة السلجوقية ، فتجراً حكام جورجيا واغاروا على انزبيجان في سنة 514 هـ، وتصدى لهم (طغرل) - اخو محمود - وقاتلهم ألا أنه لم يستطع الصمود في وجههم، وامعن الكرج في قتل المسلمين في ذلك الإقليم، وحاصروا مدينة تفليس وارغموا اهلها على التسليم، فأضطر السلطان محمود الى الخروج اليهم بنفسه، فجرى بين الطرفين قتال عنيف، كان النصر فيه من جانب محمود، وارغم الكرج على الرحيل عن بلاد المسلمين في عام 517 هـ .

كما انتهز الإسماعيلية ضعف السلاجقة واختلافهم، فزادوا من نشاطهم في بلاد الشام، وتمكنوا من الاستيلاء على بانياس في ذي القعدة من عام 520 هـ كما فتكوا بالأمير اقسنقر البرسقي أمير الموصل في السنة نفسها .

وبعد وفاة السلطان محمود في سنة 525 هـ تفجر الصراع مجددا حول العرش السلجوقي ونشبت الحروب بين ابنه داود وعمه مسعود من جهة وبين مسعود وأخيه سلجوق شاه عم داود، واستقرت الأمور في سنة 526 هـ على أن يصبح مسعود سلطانا على سلاجقة العراق وان يكون سلجوق شاه وليا لعهد، وافر الخليفة العباسي المسترشد بالله هذا الاتفاق .

الأ أن هذا الصلح لم يضع حدا للمنازعات بين أفراد البيت السلجوقي، الأمر الذي دفع بالسلطان سنجر إلى التدخل لإنهاء النزاع ودارت الحرب بينه وبين مسعود بالقرب من دينور سنة 526 هـ، انتهت بهزيمة مسعود، وعين السلطان سنجر (طغرل) - أخا مسعود - سلطانا على سلاجقة العراق .

كما أن دواد لم يسكت هو الآخر على ما حدث، فاعلن العصيان وتوجه الى همذان والتقى بعمه طغرل ودارت الحرب بينهما، وكانت الغلبة لطغرل وأنهزم داود الى بغداد ، أما مسعود، فقد استعد لقتال أخيه طغرل ايضا وسار إلى همذان في سنة 527 هـ، وتمكن من

أحراز النصر والاستيلاء على همذان، وتم له الظفر بعرش سلاجقة العراق الا ان طغرل عاود محاولته ضد مسعود، واشتبك معه في سلسلة من المعارك، وبذل مسعود جهودا كبيرة لفرض سيطرته على العراق وغربي ايران والاحتفاظ بالعرش السلجوقي ، فلم تهدأ في عهده الحروب بينه وبين الخارجيين عليه، ففضى أكثر حكمه في اخماد الفتن والاضطرابات، حتى تخلص من المتمردين وخلا الجو له ، وظل قويا مرهوب الجانب إلى أن توفي في (أول رجب من عام 547 هـ) وضعفت بموته دولة سلاجقة العراق، وعادت مسرحا للحروب الداخلية واصبح السلاطين العوبه في ايدي أمراء و قادة الجيش كما لعب اتابكة أذربيجان دورا كبيرا في توجيه سير الأحداث في دولة سلاجقة العراق كان له أثر كبير في اسقاط هذه الدولة. ويرى المؤرخ ابن الأثير أن وفاة مسعود كانت النهاية بالنسبة لحكم آل سلجوق فيقول : (فماتت معه سعادة البيت السلجوقي، فلم تقم له راية يعتقد بها ولا يلتفت إليها) .

والواقع أن الأمراء الاتابكة اصبحوا الحكام الحقيقيون، ولم يعد للسلاطين نفوذ عندهم، فتدخلوا في المنازعات والحروب التي اندلعت بين أبناء الأسرة السلجوقية بعد وفاة مسعود، فأيدوا فريقا ضد الآخر، بل إن بعض هؤلاء الاتابكة أقدم على سجن أحد السلاطين الذين خطب لهم على منابر بغداد ووضعه في قلعة الموصل .

وآلت السلطة بعد وفاة مسعود بن محمد بن ملكشاه في سنة 547 هـ الى ملكشاه بن محمود، وقام بتدبير أمور دولته المملوك (خاص بك بن بنكري)، ولم تطل ايام ملكشاه فقد قبض عليه خاص بك واعتقله ثم ارسل الى اخيه محمد بن السلطان محمود يستدعيه من عربستان سنة 548 هـ ليولية السلطة، وكان خاص بك ينوي القبض على السلطان محمد بمجرد وصوله ليتهايا له بعد ذلك اعتلاء العرش السلجوقي بدون منازع، الا أن السلطان محمد تنبه للمؤامرة وأمر بقتل خاص بك ومصادرة أمواله .

وقد وقف الخليفة المقتفي لأمر الله موقفا عدائيا من السلطان محمد ورفض أن يخطب له على مساجد بغداد فكان هذا سببا في قيام النزاع بين السلطان محمد والخليفة المقتفي ففي سنة 551 هـ أرسل سليمان شاه بن السلطان محمد يستأذن الخليفة المقتفي في دخول بغداد بطلب مساعدته على محاربة ابن اخيه السلطان محمد بن محمود، ولم يتردد الخليفة في انتهاز هذه الفرصة التي من شأنها زيادة الفرقة والمنازعات بين السلاجقة انفسهم ، فرحب بسليمان شاه و أذن له بدخول بغداد ، فوصلها في شهر محرم من سنة 551 هـ ، واحضر بين يدي الخليفة وحلف له على الطاعة (وقرر ان يكون العراق للخليفة ولا يكون لسليمان شاه الا ما فتحه من بلاد خراسان) وخطب لسليمان شاه و منح القاب ابيه غياث الدنيا والدين ولم يقف تأييد الخليفة لسليمان شاه الى هذا الحد بل ارسل الي ملكشاه بن السلطان محمود - أخو السلطان محمد - فحضر في الفي فارس، وحلف كل منهما لصاحبه وجعل ملكشاه ولي عهد سليمان شاه، وامدهما الخليفة بالأموال، وخرج معهما من بغداد ربيع الأول من سنة 551 هـ ، فلما وصلوا حلوان عاد الخليفة الى بغداد وانفذ معهما ثلاثة آلاف فارس .

الا أن السلطان محمد استطاع القضاء على هذه الحركة بفضل المساعدة التي قدمها اتابك الموصل قطب الدين مودود وأخذ سليمان شاه اسيرا الى الموصل وسجن بقلعتها وكان انتصار السلطان محمد هذا حافزا له على دخول بغداد وارغام الخليفة على الاعتراف به والخطبة له، فسار على رأس جيش كبير من همذان وانضم اليه اتابك الموصل قطب الدين مودود، ولما قارب بغداد منعه الخليفة من الدخول، ورفض أن يخطب له، فنشب القتال بين الفريقين وابلى جند الخليفة واهل بغداد بلاء حسنا فلم يتمكنوا السلطان من دخول بغداد ، واضطروه الى رفع الحصار والرحيل الى همذان في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الأول عام 552 هـ .

وفي ذي الحجة من سنة 553 هـ توفي السلطان محمد بن محمود، واختلف الأمراء على من سيخلفه في السلطنة، وانقسموا فيما بينهم، فطائفة ايدت تولية اخيه ملكشاه وطائفة عضدت ارسلان شاه بن طغرل، في حين أيدت طائفة اخرى سليمان شاه وكانوا اكثرية ، فاتفق الجميع على اسناد السلطنة الى سليمان شاه، وكان الأخير مسجوناً بقلعة الموصل منذ سنة 551 هـ ، فأطلق سراحه وجلس على العرش السلجوقي، الا ان ايام بقائه في السلطة كانت قصيرة اذا لم يلبث أن قتل مسموما في (ربيع الأول من عام 556 هـ) .

وجلس على عرش السلاجقة ارسلان بن طغرل بن محمد الذي اتخذ الأمير ايلدكز اتابكا له فسيطر الأخير على جميع مرافق الدولة واتخذ لقب (الاتابك الاعظم) . وقد ظل نفوذ ايلدكز قويا حتى وفاته في سنة 568 هـ، فاحتل ابنه جهان بهلوان مكانته ونفوذه، فسيطر على دولة سلاجقة العراق، وغلبت شخصيته على شخصية السلطان أرسلان الذي أثار الانزواء حتى توفي في سنة 371 هـ وخلفه ولده الصغير طغرل الثالث الذي لقي مصرعه على ايدي الخوارزميين في سنة 590 هـ وجلس تكش الخوارزمي على عرش السلاجقة في همذان .